الفقه المزدوج: (فقه القلوب وفقه السنن الحضارية) دراسة في التأسيس والبناء المفهومي.

Double jurisprudence: (FIKH of Hearts and FIKH of Civilizational Sunans) A study in foundation and conceptual construction.

الباحث: عمار قاسمي[1]، أستاذ محاضر (أ)

Researcher I: Ammar Gasimi, Lecturer (A)

قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Department of Doctrine and Comparative Religion, College of oussouleddine. Emir Abdelkader University of Islamic Sciences

مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

Laboratory of Doctrinal Studies and Comparative Religions

الهاتف. Phone : 0660302188

البريد الاليكترون. E-mail Address: ammar.gasmi05@gmail.com

ملخص

يرتبط فقه السنن الحضارية بفقه القلوب ارتباطا عضويا، لأن تغيير ما بالقوم يرتبط ارتباطا حقيقيا بالمضمون السنني لتغيير ما بالنفس، فمن مكنونات القلب والنفس يتحدد موقف الأفراد، ومن المواقف الفردية تتجمع مقومات الموقف الجماعي، ومن الموقف الاجتماعي تتحدد حركة سير التاريخ والقومة الحضارية.

يهدف البحث؛ إلى تتبع الحبال المتينة التي تحقق الازدواج بين الفقهين؛ فقه القلوب وفقه السنن الحضارية، لتحقيق التكامل والترابط بين العملين؛ الفردي والجماعي، لبلوغ الوحدة والتراص وتحقيق القومة الحضارية، ومنه إعادة بناء وتصحيح مجموعة من المفاهيم والمصطلحات السننية المركزية التي تصب في الخريطة المعرفية السننية الكونية الكلية المتكاملة التي تهدي إلى الحقيقة والحق، فتجتمع الجهود، وتتراص الصفوف، ويتحرك التاريخ الحضاري من جديد.

الكلمات المفتاحية: فقه السنن الحضارية؛ فقه القلوب؛ التزكية؛ العمران؛ الاستخلاف.

summary

The jurisprudence of the Sunany civilization is linked to the jurisprudence of the hearts organically, because a change in the people is really linked to the Sunni content to change what the soul, it is the components of the heart and the soul is determined by the position of individuals, and from individual positions gather the elements of the collective position, and the movement of the civilized nation.

The research aims to trace the solid ropes that achieve duality between the two jurisprudence, the jurisprudence of hearts and the jurisprudence of civilized Sunnahs, to achieve integration and interdependence between the two works, individual and collective, to achieve unity and cohesion and achieve

1. أستاذ محاضر (أ)، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، البريد الاليكتروني: ammar.gasmi05@gmail.com.

civilizational nationalism, including the reconstruction and correction of a set of concepts and terms of the comprehensive Sunny.

Keywords: FIKH of civilized Sunnahs; FIKH of hearts; Tazkiyah; Umran; Istikhlaf.

مقدمة

بدأت مشكلة الأمة المسلمة حين توقف الاستمداد من الخط المعرفي والمنهجي للتجربة النبوية عند النخبة الحاكمة التي تولت زمام السلطة بعد نهاية الخلافة الراشدة، ولجأت إلى الاستمداد من الناتج المعرفي للحضارات المتاخمة، الهندية والفارسية شرقا واليونانية الرومانية غربا، وقد ساهم في تغير حركة الاستمداد هذه عدة عوامل منها؛ ضغط هذه الحضارات المتاخمة. والثورة المضادة التي قام بها الأعراب الذين اسلموا ولم يهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصروه نصرة الأوس والخزرج ﷺ، فلم يتلقوا التربية النبوية التي تبلغ بهم إلى درجة الأصحاب. ومنها اندثار جيل الأصحاب نتيجة كبر السن ونتيجة الحروب والغزوات الكثيرة التي دارت حين ذاك لترتفع كلمة الحق، حيث لم تكتمل سنة 73هـ حتى استشهد كافة الصحابة ولم يبق منهم أحد، فانفصل السياسي عن الفكري واستبعد العلماء عن شؤون الأمة، فقامت النخبة الحاكمة في حركة بنائها المعرفي باستعارة النماذج السياسية والفلسفية والمنطقية، لتؤسس لمرجعية جديدة ومنهاج جديد يخالف المنهاج الذي أقامه الرسول ﷺ، فوفدت على الأمة مفاهيم ومصطلحات جديدة، تمخضت عنها تلك الإشكاليات والقضايا الكبيرة التي زعزعت كيانها وشتت وحدتها وأهدرت طاقتها في جدل وسجال عقيم؛ كقضية العقل والنقل، وقضية الجبر والاختيار، وقضية السببية،.. إلخ، هذه القضايا والإشكاليات التي تمخضت في جوهرها عن المفاهيم والمصطلحات المستعارة، واستبعاد المصطلحات التي جاء بها الوحي وطبقها المصطفى ﷺ في تجربته النبوية الحضارية.

فالمشكلة في جوهرها هي مشكلة نظرية المعرفة، فالنظام المعرفي الإسلامي اضطربت مفاهيمه واختلت مصادره، وأصبح بوعي أو دون وعي يستغني عن الوحي ويكتفي بالعقل والوجود كما هو الشأن في النظام المعرفي الغربي، فبعد أن كان مركز دائرة وظائف المسلم واهتماماته هي العبادة، والشؤون الدنيوية في محيط الدائرة، تغيرت وأصبح مركز الدائرة هو الاهتمام بالدنيويات، والعبادات همشت ونقلت إلى المحيط.

ولو تأملنا مؤلفات الطيب برغوث سنجد بأنها كلها تصب في هذا السياق، فهو يريد أن يرجع بنا إلى الاستمداد من المنهاج النبوي بالرجوع إلى المصادر التأسيسية (القرآن الكريم والسنة المطهرة)، وإلى التجربة النبوية في سيرته العطرة، وذلك بإبداعه "منظور السننية الشاملة" ونظرية "المدافعة والتجديد" من خلال رسم معالم "الخريطة السننية للمقاصد الكلية في القرآن الكريم" التي تنقل المسلم من التجزيئية المنهكة إلى النواظم السننة الكلية التي ترجع به إلى الاستمداد من مصادره التأسيسية، والاستفادة من واقعه واستثماره بما تمليه عليه هذه المصادر وتهديه إليه.

ومن أبرز المشكلات التي نتجت عن اضطراب نظرية المعرفة الإسلامية، الانفصال بين الجانب الفردي من الدين، والجانب الاجتماعي الحضاري، وطغت المفاهيم والمسلمات الغربية على المسلم في هذا السياق، فأصبح

يعتقد أن "ما لله، لله وما لقيصر، لقيصر"، فانفصل السياسي والفلسفي، والاجتماعي والاقتصادي عن الديني..، وانحصر الإسلام في المسجد، وأصبح المسلم، مسلما –بعض الشيء- في المسجد فقط، أما إذا ذهب إلى حانوته، أو متجره، أو مكتبه، أو قسمه، ...إلخ، يتحول إلى شخص آخر.

من هنا جاءت إشكالية البحث التي تطرح السؤال عن إمكانية الجمع بين ما يحكم العالم الداخلي للفرد وهو القلب، وما يحكم العالم الاجتماعي والحضاري وهو السنن الحضارية، أي "فقه القلوب"، و"فقه السنن الحضارية": كيف يمكن الجمع والمزاوجة بين الفقهين؛ "فقه القلوب" و"فقه السنن الحضارية"؟

يهدف البحث؛ إلى تتبع الحبال المتينة التي تحقق الازدواج بين الفقهين؛ فقه القلوب وفقه السنن الحضارية، لتحقيق التكامل والترابط بين العملين؛ الفردي والجماعي، لبلوغ الوحدة والتراص وتحقيق القومة الحضارية، ومنه إعادة بناء وتصحيح مجموعة من المفاهيم والمصطلحات السننية المركزية التي تصب في الخريطة المعرفية السننية الكونية الكلية المتكاملة التي تهدي إلى الحقيقة والحق، فتجتمع الجهود، وتتراص الصفوف، ويتحرك التاريخ الحضاري من جديد.

وعليه كان الاستقراء هو المنهج الأساسي للبحث؛ وذلك بجمع النصوص التي تتعلق بالمفهومين؛ "فقه القلوب"، و"فقه السنن الحضارية" بغية الكشف عن الحبل المتين والخيوط الرفيعة التي تربط بينهما ربطا وظيفيا بحيث تتحقق الغاية منهما في آن واحد، كما تم استخدام مناهج أخرى كالمنهج الفرضي الاستنباطي في تحليل مفاهيم هذه النصوص، والمنهج الاسترادادي في قراءة ما كُتب "فقه السنن الحضارية" و"فقه القلوب"، إلى جانب اعتماد العديد من الآليات المنطقية؛ الخاصة بالتعريف والتأثيل.

يتكون البحث من تسعة عناصر؛ اهتم الأول بالدراسة التأثيلية للفقه المزدوج، والثاني بمفهوم الفقه، والثالث بمفهوم "فقه القلوب"، والرابع؛ بمفهوم المركب الإضافي "فقه السنن الحضارية"، والخامس اهتم بالمزاوجة بين الفقهين.

أما المبحث السادس فقد اهتم ببحث التربية المبنية على "فقه القلوب"، والسابع برهن على محورية التربية في بنية الخريطة السننية للحركة الحضارية.

أما المبحث الثامن؛ فقد فحص علاقة "فقه القلوب" بحركة سير التاريخ الحضاري.

والمبحث التاسع والأخير؛ عرض رؤية الطيب برغوث لكيفية الانتقال من السنن الجزئية إلى النواظم السننية الكلية من خلال نظريته "الخريطة السننية للمقاصد الكلية في القرآن الكريم"، ونظريته في فلسفة التاريخ "المدافعة والتجديد".

1. الدراسة التأثيلية للفقه المزدوج[1]: وقع الاختيار على الدراسة التأثيلية للمزاوجة بين الفقهين؛ (فقه القلوب، وفقه السنن الحضارية)، لما يحمله التأثيل من اعتبارات يمكن إجمالها في النقاط التالية:

[1]. لا نعني بالتأثيل الذي سنورده بالضرورة ما يعنيه التأثيل في اللسانيات الحديثة، حيث "يدل مفهوم "التأثيل" في اللسانيات الحديثة على فرع من فروع اللسانيات، موضوعه دراسة نشأة الكلمات من حيث الزمن، ومن حيث العلاقة بين الصيغة الأصلية والصيغة الفرعية المشتقة

أولا: إن لفظ التأثيل يقتضي معنى التأصيل ويسد مسده؛ لأن لفظ "التأثيل" مشتق من الفعل: "أَثَلَ" "الهمزة والثاء واللام الذي يدل على أصل الشيء وتجمُّعه"[1]، فيسد مسد لفظ "التأصيل" في الغرض منه؛ "فإذا كان التأصيل هو تحقيق الصلة بالأصول، فكذلك التأثيل هو تحقيق الصلة بالأثول، والأثول هي الأصول"[2]. فيحقق بذلك تأثيل الفقه المزدوج؛ التعلق الدائم بالتوحيد والاستمداد الدائم من الوحي، لأن الأصول تُستمد من مشكاة واحدة هي الوحي والتوحيد؛ فمجالس الرسول ﷺ ومجالس الصحابة كان؛ العلم، وفقه الدين، وفقه الواقع، وحركة الحاضر، وتوقعات المستقبل تُلتَمس جميعا من كلمة الوحي مترابطة متساوقة متلاحقة.

ثانيا: أن لفظ التأثيل يقتضي معنى التثبُّت والثَّبات والتَّثبِيت؛ فيقال للشجر ثابت الأصل أنه "أَثَلٌ"[3]، فيكون بذلك تأثيل الفقه المزدوج هو؛ التَّثبُّت في القول، والثبات في الفعل (القدم)، والتثبيت على الحق.

ثالثا: إن لفظ التأثيل يقتضي معنى الإلزام؛ ""تُؤَثِّلُ": أي تُلزمنيه"[4]، فيكون تأثيل الفقه المزدوج؛ إلزام للمسلم الجمع بين العملين الفردي والجماعي، وتحقيق للتوازن بين الحياتين الآخرة والدنيا.

رابعا: إن لفظ التأثيل يقتضي معنى التعظيم؛ فيُقال: لمن عظم شيئا "تأَثَّله"[1]، فيكون بذلك تأثيل الفقه المزدوج استرجاع لتعظيم شعائر الله، والتعلق بكتاب الله، وتحقيق أكبر قدر من تقوى القلوب.

منها، سواء أكان التفرع صرفيا، أي ظهور صيغة جديدة، أم دلاليا؛ أي ظهور معنى جديد، ومن هذا المنطلق فإن التأثيل من ناحية عملية لسانية تعتمد المقارنة بين الصيغ والدلالات لتمييز الأصول والفروع، ومن ناحية أخرى عملية تاريخية حضارية؛ لأنها تستعين بدراسة المجتمعات والمؤسسات وسائر العلوم والفنون للبث في القضايا اللسانية، بالإضافة إلى مقارنة الألسن لمعرفة أنسابها وأنماطها؛ لأن اللسان الذي يكون فرعا تكون ألفاظه فروعا... ولقد تطور هذا العلم في اتجاهات ثلاثة قائمة على ثلاثة منهجيات؛ المنهجية الصوتية التاريخية... والمنهجية المعجمية التاريخية... ومنهجية التحليل الداخلي... وهكذا فإن تأثيل الكلمة يمثل قمة هرم ثلاثي تمثل قاعدته؛ تاريخ الكلمة، وحياتها، وعلاقاتها"، للاستزادة يُنظر:- البكوش، الطيب. "بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي"، **مجلة المعجمية**، العددان: 5-6، تونس: 1990، ص391-392.

ولا نعني أيضا بالضرورة ما يعنيه طه عبد الرحمن بالتأثيل الفلسفي، الذي يسعى من خلاله إلى تأثيل المفاهيم الفلسفية سواء التي أبدعها، أو التي دخلت إلى الفلسفة العربية من الفلسفات الأخرى، وذلك بالجمع بين جانب العبارة وجانب الإشارة في القول الفلسفي، للاستزادة يُنظر:- عبد الرحمن، طه. **فقه الفلسفة القول الفلسفي كتاب المفهوم والتأثيل**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، ج2، ص61-135. وإنما نعني التأثيل العقدي الذي يربط المفاهيم بالأصول؛ القرآن والسنة، وينمي قوتها الإيمانية وقوتها العملية. وقد استبدلنا مصطلح التأصيل بمصطلح التأثيل، لأن مصطلح التأصيل كثر استعماله فتم تمييعه ودخل عليه الابتذال، للاستزادة يُنظر:- برغوث، الطيب. **نحو رؤية سننية أشمل لمفهوم الأصالة والتأصيل**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص24/23.

[1]. أحمد بن فارس، أبو الحسن. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1399هـ-1979م، ج1، ص58.

[2]. عبد الرحمن، طه. **فقه الفلسفة القول الفلسفي كتاب المفهوم والتأثيل**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، ج2، ص129.

[3]. يُنظر:- ابن منظور، مُحَمَّد. **لسان العرب**، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف، د ط، د ت، ص28.

[4]. أحمد بن فارس، أبو الحسن. **معجم مقاييس اللغة**، مصدر سابق، ج1، ص59.

خامسا: لفظ "التأثيل" له صلة وطيدة بـ: "التزكية" و"التثمير"، فيقال: لمن زكى نفسا أو مالا أنه "تأثَّلَه"، كما يقال: للنفس التي تزكو وتثمر "أَثَّلٌ"[2]، فيحقق بذلك تأثيل الفقه المزدوج؛ الرغبة في تزكية النفس وتطهيرها، قبل الشروع في وظيفتي الاستخلاف والعُمران.

سادسا: يقال: "تأثَّلتُ للشتاء؛ تأهبت له"[3]، وهذا يعني أن التأثيل يقتضي التأهب، فيكون بذلك تأثيل الفقه المزدوج؛ يجعل الإنسان دائم التأهب ليوم تشخص فيه الأبصار.

سابعا: إن لفظ التأثيل يحمل معنى الكِسوة، فيقال: "أثَّل" الأهل؛ "أي كساهم أفضل كسوة، وأحسن إليهم"[4]، وهذا يعني أن تأثيل الفقه المزدوج؛ يدفع الإنسان إلى ستر نفسه وجسمه وستر غيره، ويمنعه من التعري ونزع اللباس، وينمي فيه الروح الجماعية والشعور بالآخرين الذي غُيِّب نتيجة طغيان المادية والفردية القائمة على الأنانية والذاتية.

ثامنا: يقال: "تأثيل المجد؛ بناؤه"[5]، وهذا يعني أن لفظ "التأثيل" يحمل معنى البناء، فيكون بذلك تأثيل الفقه المزدوج هو القومة والشروع في عملية البناء الحضاري.

إذن فالدراسة التأثيلية هي فعل نظري يؤصل الأمر ويرسخه من خلال وصله بمرجعيته التي تتقدمه، تثبيتا وإلزاما وسترا وتعظيما له، مع حمله على التزكية والتثمير، وجعله في حالة تأهب دائم استعدادا ليوم الرحيل، مع تنمية الروح الجماعية، ودفع الكل إلى البناء والتعمير.

2. الفقه: بعيدا عن الاصطلاح المتداول للفقه، والذي يرتبط بالشريعة، فإن؛ أغلب المعاجم العربية تعتبر أن الفقه يتراوح معناه بين؛ العلم والإدراك، والفهم؛ يقول الفيروز آبادي: "الفقه بالكسر؛ العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة"[6]، ويقول ابن منظور: "الفقه: العلم بالشيء والفهم له"[7]، وهذه التعريفات ليست دقيقة لأن هناك فورقات كبيرة بين "الفقه" و"العلم" و"الإدراك" و"الفهم"، بيّنها الكفوي حين ميز بين مراتب العلم؛ (الشعور، الإدراك، الحفظ، التذكر، الذكر، الفهم، الفقه، الدراية، اليقين...إلخ)، حيث يقول: "أول مراتب وصول العلم إلى النفس الشعور، ثم الإدراك، ثم الحفظ وهو استحكام المعقول في العقل... ثم الفهم: وهو التعلق غالبا بلفظ من

---

[1]. الفيروز آبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب. **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ-2005م، ص960.

[2]. النقاري، حمو. **معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية**، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط1، 2016، ص144-145. وكذلك: ابن منظور، مُحَمَّد. **لسان العرب**، مصدر سابق، ص28.

[3]. أحمد بن فارس، أبو الحسن. **معجم مقاييس اللغة**، مصدر سابق، ج1، ص58.

[4]. الفيروز آبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب. **القاموس المحيط**، مصدر سابق، ص960.

[5]. ابن منظور، مُحَمَّد. **لسان العرب**، مصدر سابق، ص28.

[6]. الفيروز آبادي. **القاموس المحيط**، مصدر سابق، ص1250.

[7]. ابن منظور، مُحَمَّد. **لسان العرب**، مصدر سابق، ص3450.

مخاطب، ثم الفقه؛ وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه"[1]، وهذا يعني أن الفقه هو الذي يكون فيه النظر والتأمل والتدقيق، ليُعرف غرض المخاطب، فهو النظر والتأمل والتدقيق في الشاهد من أجل التعرف على ما هو غائب، لهذا وصف الله عز وجل الذين كفروا بأنهم **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾** (الروم:7).

فالفقه أعلى مرتبة من الفهم، لأنه لا يقف عند ظواهر الأشياء بل يلج إلى الآيات والسنن التي تنضبط بها هذه الظواهر وتنتظم وفقها، والتي تدل على الحق عز وجل، والخطاب في الآية الكريمة: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** (فصلت:53)، موجه للذين بلغوا درجة إيمانية أو إحسانية أهلتهم إلى مرتبة الفقه، وكلما بلغ الإنسان درجة أعلى من الفقه اكتشف مستوى أعلى من المنطق فرأى في الأمور ذاتها ما لم يره من قبل، "الفيزياء الكلاسيكية التي تعتمد على البعد الحسي الظاهر تقول: أن الأجسام الجامدة ساكنة خامدة، بينما في الفيزياء الذرية، الأجسام كلها متحركة، بل كلما اشتد جمود المادة وكثافتها وحس خمودها الظاهر، أصبحت حركتها الذرية الخافية أشد وأكبر. كذلك المادة في الفيزياء الكلاسيكية "لا تفنى ولا تستحدث"، بينما في الفيزياء الذرية، المادة في بُعد انفجارياتها الذرية والهيدروجينية "تفنى وتستحدث"[2].

والفقه في القرآن الكريم هو علم ينشأ في باطن الإنسان في قلبه **﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾** (طه:25-28)، فالدعوة هنا ليصل الخطاب من القلب إلى القلب، بلسان فصيح، حتى يحصل الفقه.

وسؤال الذي بلغ مرتبة الفقه هو "سؤال: "الكيف التّدبري"، الذي دفعه إليه القرآن الكريم دفعا، فهو الذي يرسل العقل المسلم إلى "كيف"؟ لتدبر ما وراء المظهر؛ الإبل كيف خلقت؟ السماء كيف رفعت؟ الأرض كيف سطحت؟ استنطاق المخلوقات عن؛ مصدرها، معناها، خالقها، مصورها...إلخ، وهذا المعنى بالذات هو الذي يسوقنا سوقا إلى "فقه القلوب" و"فقه السنن الحضارية".

3. فقه القلوب: يرتبط فقه القلوب بنظرية المعرفة؛ فمصادر المعرفة في النموذج الغربي استغنت عن الوحي، وتركت الوجود (الحواس) والعقل، وهذا يؤدي إلى رفض الآخرة والعيش في الوجود وللوجود، ولا توجد غاية سوى الحياة الدنيا، فنتج عن ذلك أن احتبست مسالك الحواس، ومرض القلب وأُقفل، قال الله عز وجل: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس:42-43)**، فحين يَحُول كفر الكافر بينه وبين ضوئيات الوحي، وحين يقطع الشك

---

[1]. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني. **الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1419هـ-1998م، ص66-67.

[2]- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد. **الإنسان بين شريعتين رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر**، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1423هـ/2003م، ص20.

مواصلاته مع مصادر السمع، ينغلق القلب، وتنحبس مسالك الحواس، وتتعطل وظائفها، فيمرض القلب، العضو الصنوبري[1] المودع في الجانب الأيسر من الصدر، فيتوقف القلب المعنوي الذي هو اللطيفة الربانية الروحانية التي تعبر عن حقيقة الإنسان، فيفسد الجسد كله، لأن أمر القلب موكل إلى الله[2]، فإذا استغنى الإنسان عن الله توقفت الوظيفة الروحية للقلب.

بينما نظرية المعرفة عند المسلمين تتخذ من الوحي المصدر الأول للمعرفة، فقد ذُكرت مادة قلب في القرآن الكريم أكثر من مائة وثلاثين مرة، ما منها لفظة تنصرف للعضلة الصنوبرية اللحمية، وذكرت مادة "عمى" في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة منها ثلاثة ألفاظ تدل على عمى الحاسة في الرأس، وثلاثون لفظة للدلالة على عمى القلب، فقلب المؤمن وقلب المحسن هو القلب المفتوح، الذي تتجلى له المعرفة، فالعقل عقلان؛ عقل تابع للقلب وعقل آلي غريزي تابع للجسم، والبصر بصران؛ بصر عضوي تتحكم فيه الجملة العصبية والمخ، وبصيرة معنوية تابعة للقلب، وهكذا الأمر بالنسبة للنعم الأخرى والمخططان يوضحان ذلك:

مخطط يوضح القلب المعنوي وعلاقته بالنعم المعنوية المرتبطة بالروح

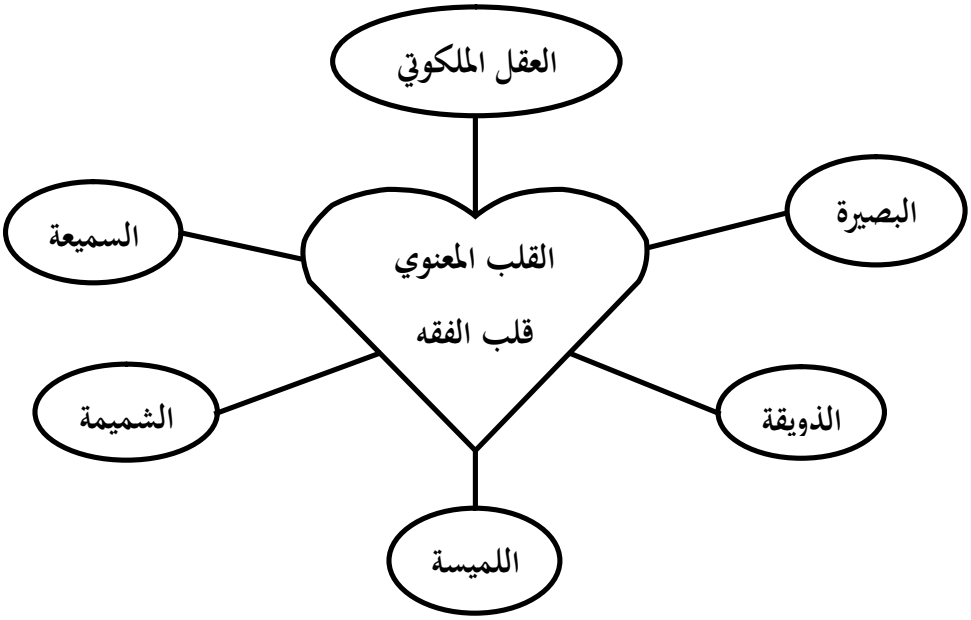

فصورة الإنسان الذي يرفض الوحي تظهر في عدة آيات كريمات نذكر منها قول الله عز وجل: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف:179)**، فهو ينزل إلى مرتبة الأنعام بل أظل من ذلك سبيلا، ويفتخر بوضعه. وكذلك قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ، أَفَلا**

---

[1]. يُنظر:- التويجري، مُحَمَّد إبراهيم. **موسوعة فقه القلوب**، الأردن: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، د ط، 2006، ص1277، حيث يعتقد أن القلب يطلق على معنيين: اللحم الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر. والثاني؛ هو اللطيفة الربانية الروحانية..إلخ.

[2]. العدوي، مصطفى. **شفاء القلوب؛ التواضع، ذكر الله، الاستغفار، الرضا بالقضاء، خفض الجناح**، جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ/1997م، ص8-31.

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (مُحَمَّد:23-24)، لهم قلوب العضو الصنوبري التي تمرض من ترف الحضارة، "قلوب مطبوع عليها مختوم عليها، موضوعة عليها الأقفال، أقفال هي صنعتها بعنادها وكبريائها وتفاهتها الفردية.

مخطط يوضح القلب العضوي وعلاقته بالنعم العضوية المرتبطة بالنَّفَس والجهاز العصبي

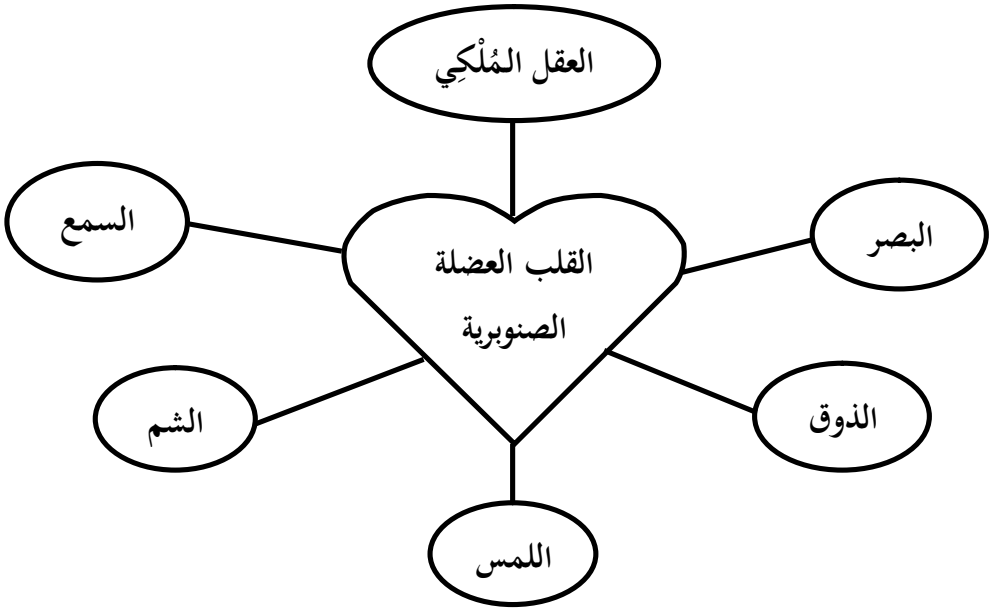

وحتى يصل القلب إلى الانفتاح واشتغال النعم الروحية لابد من أداء الوظيفة الثانية: التي هي التزكية بعد سماع تلاوة القرآن الكريم وحصول بذرة الإيمان في القلب، والتي تعد الوظيفة الأولى من الوظائف الأربعة التي استخدمها المصطفى ﷺ في تربية أصحابه **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** (الجمعة:2)، وهذا العمل (التزكية) هو عمل فردي، يجاهد فيه الإنسان نفسه ليتدرج في مدارج السالكين ويعتلي منازل السائرين، من مرتبة الإسلام، إلى مرتبة الإيمان، فإلى مرتبة الإحسان، فعمل الأبدان (العبادات) تستدعي محبة الله ورسوله، والناس على ثلاثة درجات في هذه الأعمال؛ ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات[1]، وعلى قدر العمل تكون درجة المحبة، وهذه الأخيرة هي التي تحدد حالة القلب، فهناك سنن ثابتة يتلمسها الشخص، وطرق ومسالك يسلكها العبد تكون سببا في قذف الخير أو الشر في قلبه، ومعرفة الحق تكون بالقلب المنفتح الذي يتيح النظر في آياته المشهودة وآياته المسموعة، فالله هو الدليل بنفسه على نفسه، قال بعض العارفين: "كيف أطلب الدليل على من هو دليل لي على كل شيء؟ فأي دليل طلبته عليه، فوجوده أظهر منه"[2].

---

[1]. ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين. **التحفة العراقية في إعمال القلوب**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ-2005م، ص48، محبة الله والرسول أصل كل عمل ديني، والعبادة تستدعي المحبة، والمحبة لا تكون إلا بالقلب المفتوح.

[2]. الجوزية، ابن القيم. **الفوائد**، تحقيق: مُحَمَّد عزيز شمس، مكة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د ط، دت، ص39.

والقلوب أربعة أنواع[1]؛ "قلبٌ أَجرَدُ، فيه مِثلُ السِّراجِ يُزهِرُ، وقلبٌ أَغلَفُ مَربوطٌ على غُلافِه، وقلبٌ مَنكوسٌ، وقلبٌ مُصْفَحٌ، فأمَّا القلبُ الأجرَدُ: فقلبُ المؤمِنِ، سِراجُه فيه نورُه، وأمَّا القلبُ الأغلَفُ: فقلبُ الكافرِ، وأمَّا القلبُ المنكوسُ: فقلبُ المُنافِقِ عرَف، ثُم أَنكَر، وأمَّا القلبُ المُصْفَحُ: فقلبٌ فيه إيمانٌ ونِفاقٌ، فمَثَلُ الإيمانِ فيه كمَثَلِ البَقْلةِ يَمُدُّها الماءُ الطَّيِّبُ، ومَثَلُ النِّفاقِ فيه كمَثَلِ القُرْحةِ يَمُدُّها القَيْحُ والدَّمُ، فأيُّ المِدَّتَيْنِ غلَبتْ على الأخرى غلَبتْ عليه"[2]، والوحي هو منبع فقه القلوب، ومن مجالس رسول الله ﷺ ومحا ضنه التربوية، ومن مجالس الصحابة نستنبط فقه القلوب.

فمعادلة النعمة ومعادلة النقمة تتحدد بحسب حالة القلب: ندعو الله أن يدركنا توفيقه فيلهمنا حكمة التطبيب لنعالج أنفسنا حتى تصح ونرجع إلى ربنا بقلب سليم، ونصل إلى الغاية التي نسمع فيها النداء القدسي: **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾** (الفجر:27-30). وندعوه أن يجنبنا الوقوع في وحل النقمة؛ **﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (الحشر:19).

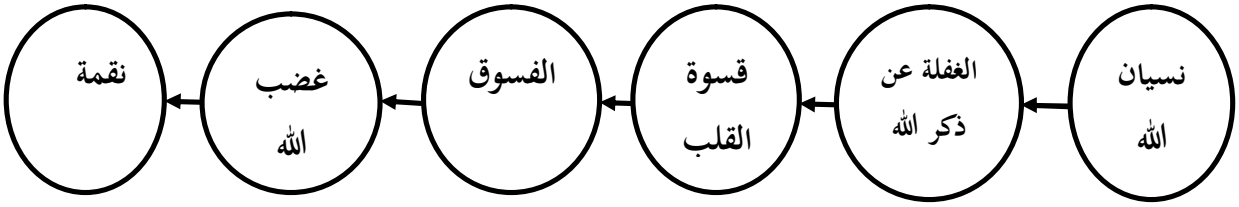

كان عمر بن الخطاب ﷺ، الرجل العظيم عاش جاهلية عنيفة وعرف بالتجربة العميقة كيف تبدأ القلوب قاسية مغلقة؟ وكيف تلين بالإيمان وتتنور بالإحسان؟ كان فقه القلوب أسمى علم وأشرفه؛ تعلموه وعلموه وألفوا به وحافظوا عليه حتى وصل إلينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من مكنونات القلب يتحدد موقف الأفراد، ومن المواقف الفردية تتجمع مقومات الموقف الجماعي والحركة الاجتماعية، **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:63)**، فالاعتصام بالله يؤدي إلى تأليف القلوب[3]، وبعد فقه القلوب يأتي العمل الجماعي وفقه السنن الحضارية.

---

[1]. ينظر:- الجوزية، ابن القيم. **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد عزيز شمس، مكة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، دط، د ت، ص10-19، حيث أورد تقسيم ثلاثي: قلب صحيح، وقلب سقيم، وقلب ميت، ثم أورد هذا التقسيم الرباعي الذي نسبه إلى الصحابة. وفي كتاب الفوائد أورد تقسيم ثنائي اعتبر فيه القلوب نوعان: "قلب هو عرش الرحمن، وقلب هو عرش الشيطان"، ينظر:- الجوزية، ابن القيم. **الفوائد**، تحقيق: محمد عزيز شمس، مكة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د ط، دت، ص39.

[2]. ابن حنبل، أحمد. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء السابع عشر، حديث رقم: 11129، ص208.

[3]. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. **الاعتصام**، ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1988م.

4. فقه السنن الحضارية: الفرق بين "فقه السنن الكونية" و"فقه السنن الحضارية"، أن الأول سهل الإدراك لأن السنن الكونية المادية تترتب نتائجها بسرعة ووضوح بعد فعل المقدمات لدرجة تكون صارمة كالمعادلات الرياضية، بينما الثاني صعب الإدراك، لأن السنن الحضارية مقدماتها ترتبط بالعواقب والعواقب بعيدة الحصول، ولأن مقدمات السنن الكونية هي السنن الجزئية التي تحكم ظواهر الكون، بينما مقدمات السنن الحضارية هي السنن النفسية والسنن التاريخية والسنن الاجتماعية التي تتميز بالتشابك والتعقيد مما يجعل محصولها عواقب وليس نتائج لأن النتائج قد تنتظم وتترتب مع المقدمات ذاتها قال الله عز وجل: **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة:22)، فنزول الغيث يتبعه إنبات النبات وخروج الثمار مباشرة.

لكن الإفساد في الأرض والمكر ينتج عنه مكر مضاد لا يشعر به المفسد والماكر حتى تكون العاقبة بعد حين في قوله عز وجل: **﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ، قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾** (النمل:48-50)، فهناك الكثير من السنن الجزئية التي تنتظم ضمن المقدمات؛ كسنة "المكر"، وسنة "الاستدراج"، والتي لا يشعر بها المستدرج حتى تكون العاقبة، فقد تتشابه الأسباب في الظواهر الحضارية وظواهر الاجتماع البشري، لكن الأحوال تكون مختلفة والنتائج أيضا، فيظن البعض أن ظواهر الاجتماع البشري ظواهر عشوائية تحكمها الصدفة "وفاتهم أن الأسباب تؤدي حتما إلى مسبباتها إلا إذا حصل مانع، والمقدمات تؤدي دائما إلى نتائج إلا إذا حصل عارض، وهم لم يبصروا الموانع والعوارض، كما أنهم لم يبصروا كل الأسباب والنتائج، فتراكم عندهم الخطأ فلم يعودا يبصروا"[1].

إذن فقه السنن الحضارية أو الفقه الحضاري "هو الذي يتابع القوانين التي تتحكم في نشوء الحضارات وازدهارها، وتلك التي تقود إلى انكماشها وتدهورها"[2].

ويعتقد الطيب برغوث أن "فقه السنن الحضارية"؛ حركة معرفية تهدف إلى بناء الخريطة المعرفية السننية الكونية المتكاملة، وان دراسة المقاصد الكلية للقرآن الكريم هو لب فقه السنن الحضارية يقول: "وقد كان يفترض أن تمضي هذه الحركة المعرفية الكبيرة قدما نحو بناء الخريطة المعرفية السننية الكونية الكلية المتكاملة، التي تمنح المسلم والإنسان عامة، القدرة المتجددة على الرصد الموضوعي للظواهر والأحداث، والاستقراء المستوعب لمفرداتها ومعطياتها ومؤثراتها، والتحليل التكاملي العميق لها، والتفسير الموضوعي الدقيق لها، وصولا للفهم السنني الصحيح لحركة الوجود الكوني والبشري أولا، والسنن الكلية التي تحكم حركة الاستخلاف البشري في الأرض ثانيا، وتحقيقا

---

[1]. زيدان، عبد الكريم. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، العدد:105، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ-1993م، ص24.

[2]. خليل، عماد الدين. "فقه السنن"، **مجلة الفكر الإسلام المعاصر**، العدد:105، ربيع 1444هـ-2023م، ص8.

للاستثمار الصحيح لهذه السنن في تأطير هذه الحركة الاستخلافية في اتجاه تحقيق المزيد من الخيرية والعبودية والعالمية والإنسانية والكونية في حياة الإنسان ثالثا"[1].

ويرى الطيب برغوث أن عدم نضوج الوعي السنني بالخريطة المعرفية السننية الكونية الكلية لدى الأمة وانحسار العلوم الغربية في نطاق الحياة المادية، أدى إلى فشل الإنسانية في الاندفاع نحو فقه السنن الحضارية الشامل، ويدعو إلى إحياء وظيفية المعرفة وتحقيق المصالح والمنافع الإنسانية، ويعتبر الرجوع إلى المنطق العملي أحد أركان فقه السنن الحضارية "فالمنطق العملي أو الفعالية الإنجازية التكاملية المؤثرة على حركة الحياة، هي المقصد الأساس من الحركة المعرفية باستمرار، فإذا انفصلت الحركة المعرفية عن مقاصدها الوظيفية العملية أو الاجتماعية عامة، أصبحت حركة غير ذات جدوى، تتحرك خارج نطاق حركة الفقه الحضاري في المنظور القرآني للمعرفة والحياة"[2].

إذن فالسنن الآفاقية تحكمها النتائج، بينما السنن الأنفسية تحكمها العواقب، وبين النتائج والعواقب مسافة كبيرة، فظواهر الحياة، والعدوان، والظلم، والانتكاس، والغزو، والاحتلال، والهلاك، والفتنة، وهلم جرا تبقى ألغازا تتكرر وتنعدم فيها الدروس ما لم نكتشف المنهجية العلمية السننية التي تحكمها، ونحسن تطبيقها وتنزيلها في حياتنا اليومية، كسبيل للبحث العلمي والقومة الحضارية ، والقيام بأمانة الاستخلاف، وأعباء العمران، وكوسيلة لاكتشاف أسباب الإخفاق وأسباب النهوض الحضاري، وكسبيل للمزاوجة بين فقه القلوب وفقه السنن الحضارية.

5. التزاوج بين الفقهين فقه القلوب وفقه السنن الحضارية: قال الله عز وجل: **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (الأنفال:63)، من مكنونات القلب يتحدد موقف الأفراد، ومن المواقف الفردية تتجمع مقومات الموقف الجماعي والحركة الاجتماعية، فالأمة تحتاج إلى تفصيل في عمل القلب وانعكاسه على البناء السنني العام، تحتاج إلى أن تطرق باب القرآن الكريم والسنة النبوية من جديد وتطرق باب العلماء المجتهدين لتكتشف أمراض القلوب التي أصابتها وتكتشف سبل الاستطباب والعلاج، فالعودة إلى الله والاعتصام بحبله يؤدي إلى تأليف القلوب، وتأليف القلوب يؤدي إلى تراص الصفوف.

"فمن أراد من فرد أو مجتمع أو أمة، أن يغير نفسه ويجدد فعاليته الفكرية والنفسية والروحية والسلوكية والاجتماعية، ويحقق مداولته ومنعته الحضارية، فعليه أن يجدد وعيه بالمؤطرات المرجعية القطبية السننية الكونية الكلية الناظمة لحركة الحياة، وأن يطابقها مع سنن الله في خلقه، وأن يطابق حياته معها بعد ذلك، هذا هو المعنى والمضمون السنني الحقيقي لتغيير ما بالنفس الذي يرتبط به تغيير ما بالقوم"[3].

---

[1]. برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص54-55.

[2]. برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم**، مصدر سابق، ص65.

[3]. نفسه، ص13.

بداية الطريق الصحيح في نظر الطيب برغوث أن ندخل التحديات البادية في الآفاق في معادلة واحدة إلى جانب الفساد الواقع في أنفسنا وفي قلوبنا، وأن نتعلم من سنن الله المقروءة في القرآن ومن خريطة مقاصده الكلية ومن سننه الحية أمام أعيننا في الكتاب المنثور و وسننه في التاريخ لأن الله تعالت قدرته لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

هذه حقيقة الفقه المزدوج؛ ضرورة تطابق المظهر ألآفاقي، مع المخبر الأنفسي، والطريق إلى ذلك التربية وتصحيح المفاهيم **﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾** (التوبة:43)، وتحقيق التوازن بين العمل الفردي والعمل الجماعي؛ ففي العمل الفردي ينهى الإنسان نفسه، ويمسك بزمامها، ويزجرها، ويحاسبها، ويحملها محامل الصدق والجد، ويسعى جاهدا كي تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، وينهاه تقواه.

وفي العمل الجماعي يدعوه غيره من المسلمين لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتعاون معهم على واجب التقوى، قال عز وجل: **﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾** (النازعات:37-41)، فقيم التعامل في الجماعة هي الحب، والصدق، العلم، إلى كل الخصال التي أوردها علماؤنا المجتهدون في بيان معني الإيمان وشعبه ككتاب: "شعب الإيمان" للبيهقي[1]، والنتيجة؛ أن الإنسان يحاسب نفسه بصرامة لأنه لا يغش إلا نفسه إن جاملها، وهم يرفقون به بداعي المحبة وينصحونه بما يتحمل إلى أن يحمل عبئ نفسه.

6. التربية المبنية على فقه القلوب: لعل السؤال المركزي الذي تطرحه المنظومات التربوية هو: ما هو أنموذج الإنسان الذي نخرّجه أو ننتجه؟

هل نربي إنسان العضلات والبنية الجسمية القوية، إنسان الملعب؛ كما في النموذج الروماني؟

أم ننتج الإنسان العقل الفيلسوف الذي يثق في عقله ثقة عمياء ويستغني بشكل نهائي عن الوحي؛ كما في النموذج اليوناني؟ أم ننتج الإنسان العالِم التكنولوجي العلماني؛ كما في النموذج الأوروبي الحديث؟ أم نربي الإنسان الغريزة الذي هدفه جمع المال ليستهلك فقط ويشبع نهمه ورغباته، دون هدف أو غاية أخرى؛ كما في النموذج الفرويدي؟ أم ننتج الراهب أو المعتزل الذي لا يغادر برجه العاجي إلا لقضاء الحاجات البيولوجية الضرورية؟ ما هو أنموذج الإنسان الذي تسعى المنظومات التربوية لإنتاجه؟

هل أننا نريد أن ننتج إنسان المسجد، مثل الإنسان الذي صُنع في أحضان التربية النبوية؟ كـ: عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو بكر وغيرهم كثير ﷺ جميعا؟

فقه القلوب، أو الفقه القلبي -كما تبين- هو محاولة إدراك ما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، عن القلب وتربيته صراحة أو ضمنا، بغية تطهيره وإصلاحه لتحقيق أمانة الاستخلاف، ومهمة العُمران، فهو تربية

---

[1]. يقول البيهقي: "وهو كتاب جامع لأصل الإيمان وفروعه، وما جاء من الأخبار في بيانه وحسن القيام به، لما في ذلك من الترغيب والترهيب"ينظر:- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن. **شعب الإيمان**، تحقيق: أبي هاجر مُحَمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ-2000م، ج1، ص27.

القلب "وتعهده بتنمية ما فطر فيه من طيب القيم، بأساليب ووسائل مناسبة تحقق في المربي كمال إنسانيته، وتمام عبوديته لله رب العالمين"[1]، فالأزمة الحضارية هي باستمرار محصلة أزمة ثقافية، وهذه الأخيرة هي محصلة أزمة التربوية، والأزمة التربوية هي باستمرار محصلة أزمة منهجية[2]، لهذا كانت التربية هي محور النهضة الحضارية لأنها هي مكمن بنا "منظومة فقه المنطق العملي" الذي ينمي ويشحذ "الفعالية الإنجازية"، يقول الطيب برغوث: "ونقصد به –أي فقه المنطق العملي- شحذ الفعالية الإنجازية للفرد إلى أقصى حدودها البشرية المستطاعة، من خلال تحسيسه بأن العمل السليم، الذي يجمع فيه الإنسان بين الإكثار والإحسان، هو المقصد الأساسي من حياة الإنسان ووجوده"[3]، والمدخل إلى هذا المنطق الذي يحقق التكاملية المعرفية هو الوعي بالمنظور المعرفي السنني الكوني المتوازن الذي يجمع بين قوى الإنسان الروحية والمادية "ولما كان الإنسان ليس جسدا أو فكرا أو ملكات وغرائز نفسية فحسب، بل هو كذلك روح متصلة بالغيب عبر الإيمان الصحيح بالله تعالى، وتتغذى بغذاء العبودية له سبحانه، وتُحمى وتُرقى بمنظومات التقوى المختلفة.. فإنه لابد له من تنمية روحية شاملة ومتوازنة ومتكاملة ودائمة كذلك، فإن لم تتوفر له هذه التنمية الروحية الشاملة المتكاملة المتوازنة الدائمة، فإن ذلك سينعكس سلبا على بقية ملكاته الفكرية والنفسية الأخرى، ويضر بها كثيرا[4]، فالتربية عند الطيب برغوث هي تنمية روحية شاملة تستغرق كل ملكات الإنسان ومركباته، وتستثمر حتى المخزون التاريخي الذي يرثه الإنسان من محيطه الاجتماعي[5].

"وإذا كانت الخبرة الإنسانية الطويلة فيما يتصل بمعرفة الإنسان "وبدورته الوجودية"، قد أفضت إلى أن الإنسان من الناحية التكوينية هو: محصلة تفاعل تكاملي متناسب بين قواه الأساسية: الجسمية والعقلية والروحية، التي يختزلها بعضهم في الجانب الوجداني أو العاطفي أو النفسي، تهوينا من المضمون العقدي لكلمة الروحي، فإن إنسانية الإنسان لا يمكنها أن تتحقق إذا اختل بعد من هذه الأبعاد، أو أهملت العناية بأية قوة من هذه القوى الأساسية، التي عندما تتكامل تكاملا متناسبا، تعطي لنا كائنا حيا متميزا اسمه الإنسان، وعندما يختل هذا التكامل فإن ذلك يكون على حساب الإنسانية في الإنسان"[6]، وهذه الأبعاد المستهدفة بالتربية الإنسانية هي؛

---

[1]. متولي النحراوي، السيد صبحي. **تربية القلب في الفكر الإسلامي دراسة تحليلية نقدية**، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1440هـ-2019م، ص139.

[2]. برغوث، الطيب. **الفعالية الحضارية والثقافة السننية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2019، ص148-154.

[3]. برغوث، الطيب. **التجديد الحضاري وقانون النموذج**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص283.

[4]. للاستزادة يُنظر:- برغوث، الطيب. **التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سنني كوني متوازن**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص30.

[5]. للاستزادة في معرفة الأبعاد التي يجب أن تستغرقها التربية، يُنظر:- برغوث، الطيب. **قواعد المنهج في الحركة الحضارية ليوسف عليه السلام**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص50.

[6]. برغوث، الطيب. **التجديد الحضاري والعمق الإنساني للإنسان**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص44-45.

البعد المادي، والبعد العقلي، والبعد الروحي، والبعد السلوكي أو الأخلاقي، والبعد الاجتماعي، وبعد القدرات التسخيرية، وبعد القدرات الوقائية[1].

والمرجع الأساسي في الاستمداد التربوي هو السيرة النبوية العطرة إذ "لما كانت السيرة النبوية تعتبر تجسيدا عمليا نموذجيا لرسالة الإسلام في الحياة، كما يشهد بذلك واقع حركة الدعوة الإسلامية في عصر النبوة، فإن ذلك يعني على مستوى فقه السنن الحضارية لحركة الاستخلاف البشري في الأرض، بأن الإسلام كرسالة إنسانية كونية، توفرت له أربعة أنواع ومستويات من القوة أو المؤثرات السننية المتكاملة، التي قلما تتوفر لفكرة ما بهذا الشكل المطلوب والممتد في التاريخ، ألا وهي: قوة القدوة المنهاجية النموذجية... وقوة القدوة البشرية النموذجية... وقوة القدوة الاجتماعية النموذجية... وقوة القدوة الحضارية النموذجية..."[2].

والحاصل من هذه التربية هو الأسرة المتماسكة التي تنتج أشخاصا متوازنين من كل النواحي، وقد شكلت "الأسرة الجزائرية المتماسكة الصخرة التي تحطم عليها المشروع الاستدماري البغيض، الذي استطاع أن يقضي على الدولة الجزائرية، ككيان سياسي وإداري"[3] لكن صمود الأسرة وتماسكها وقوة المرأة الأخلاقية والقيمية جعل هذا الاحتلال يعود من حيث أتى ذليلا مقهورا.

وحتى يثبت القلب ولا يخرج الإنسان عن النسق الإيماني الكوني، ويصبح عنصرا مركزيا في نسيجه، لابد من الثبات على التسبيح والذكر الدائم، فهو وظيفة من وظائف المنهجية العلمية السننية: "إن التسبيح يُدخلنا في تناغم كوني مع المخلوقات المسبحة لله كما تسبح في السماء والأرض، واصطففنا كالطير المسبحة، وأركبنا الله عز وجل هذه الأكوان المسخرة لبني آدم وأطاعنا الكون وأصبح ذلولا نمشي في مناكبه"[4]، وأي سهو أو عشو عن ذكر الرحمن، يُخرج الإنسان من النسق الإيماني التسبيحي، ويدخله في المنظومة الشيطانية.

7. محورية التربية في بنية الخريطة السننية للحركة الحضارية: الخلاصة التي ينتهي إليها الطيب برغوث من خلال دراسته للظاهرة الحضارية، استنادا إلى نظريته في "منظور السننية الشاملة" وفي "المنظور السنني القرآني" على الخصوص هي: " أن الحضارة كقطب يتجه نحو النشاط العُمراني لحركة الاستخلاف البشري في الأرض، بشكل مطرد، تتشكل من هيكل بنيوي سنني متكامل، يمثل الهيكل العظمي للحضارة، هو الذي يحدد طبيعتها الإنسانية ومدى استجابتها وملاءمتها للوظيفة الوجودية للإنسان في الأرض أم لا، وتتشكل خريطة هذا الهيكل السنني البنيوي من أربع دوائر كلية متكاملة، كلما استكملها النشاط الإنساني في حركته الحضارية، بشكل شمولي نوعي

---

[1]. ينظر المصدر السابق، ص172-178.

[2]. برغوث، الطيب. **مدخل إلى فقه مناهج الإصلاح في السيرة النبوية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2019، ص21-22.

[3]. للاستزادة والاطلاع على أسس بناء الأسرة المسلمة ينظر:- برغوث، الطيب. **بناء الأسرة المسلمة طريق النهضة الحضارية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص23.

[4]. عبد السلام، ياسين. **سنة الله**، الدار البيضاء (المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1426هـ-2005م، ص262.

متوازن، كلما ارتقى في مدارج الحضارة الإنسانية، وأتاح له ذلك المزيد من شروط استكمال ترقية وتعميق أبعاد إنسانية الإنسان"[1].

وهذه الدوائر الأربعة تباعا هي؛ الدائرة الروحية، والدائرة الأخلاقية، والدائرة الثقافية، والدائرة المادية، ويعتمد الطيب برغوث على آية النور؛ **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (النور:55) التي تربط الاستخلاف والتمكين، وتحقق الأمن النفسي والروحي والثقافي والاجتماعي والحضاري للفرد والمجتمع، فاستنبط منها تلك التنمية الشاملة المتوازنة التي تغطي الدوائر السننية البنيوية الأربع للخريطة الحضارية، فأدرك بذلك أنه كلما تجزأ النشاط الحضاري للإنسان، وانحسر جهده في بعض هذه الدوائر، كلما انعكس ذلك سلبا على نوعية تطوره الحضاري، وعلى عمق إنسانيته، لارتباط تكاملها بتكامل النشاط الحضاري.

ومركز هذه الدوائر جميعا هو تربية القلب، فإذا فسد القلب فسد الجسد الإنساني جميعا، وتعطل عمل الدوائر السننية الأربعة، فتعطل بذلك جسد الأمة كلها، واستمرت في حالة السُّبات الحضاري، لهذا يجب علينا أن نطرق باب علمائنا الذين لم يتركوا شاردة ولا واردة بشأن عمل القلب وتطهيره إلا فصلوا فيها، فنفيد من عمل القلب وانعكاسه على البناء السنني العام.

8. فقه القلب وحركة التاريخ الحضاري[2]: التفسيرات الغربية سواء القائمة على التصنيف المادي أو على كفاية العقل البشري، أو القائمة على حساب الأهواء والغرائز المقطوعة عن الله، لم تهتدي إلى الحقيقة وإلى الحق الذي به قامت السماوات والأرض وعليه دارت سنن الله في الآفاق والأنفس والهداية والتأييد، وتدور.

فسنن الله سائرة بالجميع، فقهوا ذلك أم جهلوا، من يسمع كلام الله ويبصر به ويستنير بهديه، ويتدبر به آيات الآفاق والأنفس، يستطيع وحده أن يساير سنن الله في خلقه على بصيرة من حتمية القدر، فمنطق الأرض خلقه الله منطقٌ ثنائي القيم، للابتلاء، يتكون من مسارين؛ المسار الإيماني، ومسار الكفر الشيطاني، خلق الله الثنائيات لابتلاء العباد أيهم أحسن عملا: (الدنيا، الآخرة)، (الحياة، الموت)، (الخير، الشر)، (الغنى، الفقر)، (الصعود، الانحطاط)، (الإيمان، الكفر)، (العدل، الظلم)، (العافية، والمرض) وهلم جرا.

وحالة القلب هي التي تحدد مكانة الإنسان ضمن هذا المنطق، إما أن ينخرط في النظام التسبيحي الإيماني، وإما أن يخرج منه إلى الفوضى الشيطانية، فصلاح القلب أو فساده، وانفتاحه أو انغلاقه، هو مصدر حركة

---

[1]. للاستزادة والاطلاع على بنية الخريطة السننية لإنسانية الحركة الحضارية والدوائر المشكلة لها، ينظر:- برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى النظرية الكلية في فقه العُمران الحضاري في ضوء القرآن الكريم**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص52.

[2]. للاستزادة والاطلاع على الرؤية التوحيدية في تفسير حركة سير التاريخ، ينظر:- قاسمي، عمار. "الرؤية التوحيدية في تفسير حركة التاريخ"، (رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، 2016م).

الحضارة والتاريخ؛ فصلاح القلب وشفاؤه وانفتاحه هو مصدر سير حركة التاريخ نحو الريادة الحضارية، وفساده ومرضه وانغلاقه هو مصدر السقوط والانحطاط والتردي في حركة الحضارة والتاريخ.

إن ما تخفيه الصدور من جذور ما في القلوب يحدد موقف الأفراد، ومن المقومات الفردية تتجمع مقومات الموقف الاجتماعي والحركة الاجتماعية، ومن الحركة الاجتماعية تتحدد حركة سير التاريخ نحو الريادة الحضارية أو الانحطاط والاضمحلال الحضاري.

والبعد التربوي إلى جانب البعد المؤسساتي والبعد الوقائي هو "المنشئ والمؤطر لقيم الأخوة والمحبة، والأمانة، والتقوى، والطموح، وعلو الهمة، وروح المثابرة، والحرية، والمبادرة، وحسن الخدمة، والتسامح، وشكر والإنصاف، واحترام الذات، والمنطقية السننية، حيث يجب على المجتمع أن يسخّر كل قواه وطاقاته وإمكاناته المتاحة لتحقيق أداء تربوي متميز؛ أصيل، وفعال، ومطرد، ينشئ الفرد الرسالي المؤمن الواعي المحتسب، المستقل التفكير، السوي الشخصية، المعتز بهويته الثقافية والحضارية، الشديد الطموح نحو التَّميُّز والإبداع، والإضافة والتأثير فيما حوله"[1].

فالشروط والأسباب والسنن كلها تدور حول محور مركزي هو "التربية القلبية" أو "فقه القلوب"، والله ينجز وعده إذا توفرت هذه الشروط؛ فهناك سنن ثابتة؛ انهيار واضمحلال الحضارات يرجع في جوهره إلى فساد القلب ومرضه وانغلاقه، فكلما اتّبع الإنسان ما جاء به الوحي واستنار بهديه، وأتمر بأوامره، وانتهى عن نواهيه، وجاهد نفسه، انفتح قلبه وجعلهم الله ورثة الأرض وأئمة فيها، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، ويدعون إلى الخير، ويحافظون على حدود الله، ويصبرون على ما أصابهم....

ويثبُت القلب ويصلُح إذا عرف لمن يعيش؟ وهو سؤال لمحاضرة ألقاها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله أمام حشد من أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية ونشرتها مجلة الشهاب في ديسمبر سنة 1936م، واعتمدها الطيب برغوث كملحق في الوعي[2]، هذا السؤال: لمن أعيش؟ عالج عدة قضايا على رأسها؛ قضية فهم الإسلام، ورسالته في الحياة، وعلاقة العالمي بالمحلي، والوطني بالقومي، والديني بالدنيوي... إلخ، في رسالة تضع القلب في مساره الصحيح.

وقد اجتهد الطيب برغوث استدراكا واستكمالا على النظريات التي سبقته في تفسير حركة التاريخ، خاصة النظرية الخلدونية وامتداداتها المعرفية عند ابن الأزرق في مشروعه "بدائع السلك في طبائع الملك"، ومالك بن نبي في مشروعه: "شروط النهضة الحضارية"، وأرنو لد توينبي في مشروع التفسير الحضاري للتاريخ، اجتهد في إبداع نظرية "المدافعة والتجديد"؛ يقول الطيب برغوث: "وفي سياق هذا الاستدراك والتكميل والتجديد والإغناء للمشاريع

---

[1]. برغوث، الطيب. **التغيير الحضاري وقانون الاستقلالية النوعية التكاملية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2019، ص93-105.

[2]. للاستزادة حول معالجة الطيب برغوث لسؤال لمن أعيش؟ استمرارا واستمدادا من المدرسة الباديسية ينظر:- برغوث، الطيب. **التغيير الحضاري وقانون الاستقلالية النوعية التكاملية**، مصدر سابق، ص133.

الفكرية الكبرى على مستوى الفكر الإسلامي خاصة والإنساني عامة، تأتي أطروحة أو نظرية "المدافعة والتجديد"، لتعمق الخط الفكري السنني العام الذي وضع ابن خلدون أساسه، وخاصة في مجال فلسفة التاريخ والحضارة كمصب رئيس لكل روافد المعرفة البشرية العامة، على اعتبار أن كل هذه المعارف الإنسانية المستحدثة، والتي ستستحدث عبر التاريخ، غايتها أن تمكن الإنسان من فهم سنن حركة الاستخلاف البشري في الأرض من ناحية، وأن تعينه على استثمارها بالفعالية والكفاءة المطلوبة في تحقيق أعلى وأرقى مستويات خلافته في الأرض من ناحية أخرى، وعلى استثمار منجزات هذه الحركة الاستخلافية الراقية، في استشراف آفاق الحياة الأخروية للإنسان من ناحية ثالثة، كمصب غائي نهائي للحياة الدنيوية كلها"[1].

وقد صرح بأن بذور وجذور هذه النظرية بدأت تنبثق في وقت مبكر جدا منذ مرحلة التعليم المتوسط[2]، حين وجد نفسه في اتصال مباشر مع تراث ابن خلدون، وار نولد توينبي عبر مالك بن نبي.

9. من السنن الجزئية إلى فقه النواظم السننية الكلية: نتيجة توقف الاستمداد من الخط المعرفي والمنهجي للتجربة النبوية عند النخبة الحاكمة التي تولت زمام السلطة بعد نهاية الخلافة الراشدة، ولجأت إلى الاستمداد من الناتج المعرفي للحضارات المتاخمة، الهندية والفارسية شرقا واليونانية الرومانية غربا، -كما اشرنا في المقدمة-، انحرف مسار الأمة عن المنهجية العلمية السننية التي أرسى قواعدها المصطفى ﷺ بهداية الوحي، وانجذب فكرها نحو التجزيئية اللامتناهية في جميع المستويات والحقول المعرفية؛ "فعلى مستوى المنظومة الفقهية، وذلك أمر طبيعي، لأن طبيعة الفقه هي ملاحقة تفاصيل الحياة الجزئية، وتأطيرها بالأحكام الفقهية المختلفة، واستمر التجزيء بالرغم من محاولة الغزالي في كتابه: "إحياء علوم الدين" الإلحاح على عدم تجريد الأحكام الفقهية من روحها المقاصدية الحِكمية، لأنها إذا خلت من ذلك، وتجردت عنه، فقدت روحها ورشدها وقوتها الباعثة على التنفيذ لها"[3].

أما على مستوى العقيدة فقد "انجذب علم الكلام إلى تجزيئية وجدالية حادة، تضاءلت في زحمتها الروح التربوية للعقيدة، واحتدم الجدال والخلاف العقدي بين الفرق الكلامية. ومثل ذلك وقع لعلوم التزكية النفسية الروحية، التي تناثرت معطياتها، وداخلتها الخرافة والشعوذة إلا قليلا منها"[4].

وعلى مستوى التفسير وعلوم القرآن، والسير، وعلوم السنة وشروحها؛ "هيمنت كذلك النزعة التجزيئية في العلاقات المعرفية بها، ولم يسجل هناك اختراق معتبر في اتجاه النظرة السننية الشمولية التكاملية للقرآن الكريم

---

[1]. برغوث، الطيب. **الأطروحة السننية الخلدونية ونظرية المدافعة والتجديد**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص49.

[2]. للاستزادة حول نظرية "التجديد والمدافعة" وحيثيات نشأتها وأسسها وقواعدها ينظر:- برغوث، الطيب. **الأطروحة السننية الخلدونية ونظرية المدافعة والتجديد**، مصدر سابق، ص50-58.

[3]. برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص63.

[4]. نفسه.

والسنة المطهرة ومقاصدهما في الحياة، بالرغم مما زخر به القرآن والسنة من معطيات سننية ضخمة جدا، تضاءل حضورها في التفاسير والشروح، في زحمة النزعة التجزيئية الموغلة في استقصاء جزئيات الفكر والحياة التي لا نهاية لها"[1].

أما على مستوى علم الأصول وعلم أصول الفقه، فرغم أن هذه العلوم جاءت "لتشكل الإطار المنهجي والفكري لتنظيم الفكر وبناء التصور، وضبط حركة الاجتهاد، وتنزيل معطيات القرآن والسنة على حركة الحياة بشكل فعال، لكنها بدورها لم تذهب بعيدا على مستوى بناء رؤية سننية كلية للمقاصد الكلية للقرآن الكريم، وتوقف عند الكليات الخمس، بالرغم من الدفعة الكبيرة التي أعطاها الشاطبي لمقاصد الشريعة، ومن بعد الإمام الطاهر بن عاشور"[2].

"وحتى السيرة النبوية التي تعتبر الساحة الفعلية لمحاولة تجسيد مفاهيم وقيم القرآن والسنة ومقاصدهما في الحياة عمليا، فإن النظرة التجزيئية هيمنت عليها كذلك، ولم نلحظ في دراسات السيرة على كثرتها، نزعة سننية متكاملة، تحاول استخلاص رؤية مقاصدية سننية كلية لتحليل وتفسير حركة الوجود عامة، وتحليل وتفسير وإدارة الصيرورات الحضارية لحركة الاستخلاف البشري في الأرض خاصة"[3].

هذه التجزيئية قادت الأمة إلى إهدار طاقتها، وتسطيح وتبلُّد عقلها، وابتعدت عن غايتها وهدفها، وقد أدرك الطيب برغوث بما أوتي من حس سنني أن هناك ضرورة للم شمل هذه الجزئيات والتفاصيل السننية، وردها إلى أطرها المرجعية الكلية، لأن الجزئيات السننية منفردة قد "تكون سببا قويا للاضطراب الفكري والثقافي والنفسي والسلوكي والاجتماعي والضعف الحضاري بعد ذلك، أما إذا عادت هذه الفروعية إلى أطرها المرجعية الكلية، وارتبطت بها في نموها واستثمارها، فغنها تتحول حينئذ إلى ثروة معرفية وثقافية غنية بالخيارات التي يمكن الاستفادة منها في الحياة الخاصة والعامة"[4].

لهذا يقترح الطيب برغوث ضرورة الوعي بالخريطة السننية للمقاصد الكلية في القرآن الكريم، التي تتكون من أربعة دوائر؛ دائرة الوعي السنني الغائي، ودائرة الوعي السنني الاستخلافي، ودائرة الوعي السنني التسخيري، ودائرة الوعي السنني الوقائي. وكل دائرة من هذه الدوائر تتكون من نواظم سننية جامعة؛ فدائرة الوعي السنني الغائي تتكون من؛ ناظم الوعي بسنن المنشأ، وناظم الوعي بسنن الخلافة، وناظم الوعي بسنن العبودية، وناظم الوعي بسنن العُمران الحضاري، وناظم الوعي بسنن الاستعداد للآخرة.

أما دائرة الوعي بسنن حركة الاستخلاف البشري تتكون من؛ ناظم الوعي بسنن الابتلاء، وناظم الوعي بسنن المدافعة، وناظم الوعي بسنن المداولة، وناظم الوعي بسنن التجديد.

---

1. برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم**، مصدر سابق، ص64.
2. نفسه.
3. نفسه.
4. نفسه، ص69.

أما دائرة الوعي بسنن حركة التسخير الكونية تتكون من؛ ناظم الوعي بسنن الآفاق، وناظم الوعي بسنن الأنفس، وناظم الوعي بسنن الهداية، وناظم الوعي بسنن التأييد.

أما دائرة الوعي بسنن الوقاية الحضارية تتكون من؛ ناظم الوعي بسنن الوقاية المبكرة، وناظم الوعي بسنن الوقاية المرافقة، وناظم الوعي بسنن الوقاية الاستدراكية[1].

ومن هذه الدوائر الأربعة اهتدى الطيب برغوث إلى إبداع نظرية جديدة في فلسفة التاريخ أسماها "نظرية المدافعة والتجديد".

الخاتمة

بعد أن فرغنا من محاولة التأثيل، بين مفهومين مركزيين في الفكر السنني بشكل عام؛ فقه القلوب، وفقه السنن الحضارية، وحاولنا أن نبحث عن الروابط المعرفية، والمنهجية، والواقعية العضوية بينها، لا يبقى علينا سوى أن نستجمع أهم النتائج التي توصلنا إليها في عناصر معدودة، قد لا تشفي غليل الناظر، ولا تغنيه عن قراءة البحث، لكنها قد تفي بالغرض؛ وقد تكون سببا يُرغّبه في الجلوس للقراءة المتفحصة للبحث إذا كان متسرعا.

لقد حاولنا أن نجعل الفكر السنني بمختلف شعبه يدور حول محور "القلب"؛ المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، سواء كان جسد الفرد، أو جسد الأمة، أو جسد الحضارة الإنسانية جمعاء، وأطلعنا الباحث الناظر على بعض العمليات النظرية والعملية التي يقوم بها في تأثيل مفاهيمه السننية، منتجا خطابا سننيا واضحا، فعّالا وفاعلا، فيه من التنظير والبناء بقدر ما فيه من الدفع إلى الممارسة العملية، وتتلخص جملة النتائج فيما يلي:

أولا: إن استخدام مصطلح "التأثيل" في دراسة المفاهيم والمزاوجة بينها يحيل إلى الاستقامة والثبات والشموخ تماما كما هي خصائص شجرة "الأثل"، ويجنبنا الخصائص السلبية التي دخلت على مصطلح "التأصيل"، كـ: الميوعة، والابتذال، والإزاحة، وعدم الثبات، وإثارة الجدل حول معنى الأصل.

ثانيا: إن استخدام مصطلح "الفقه" يحيل مباشرة إلى نظرية المعرفة الإسلامية التي تعتبر الوحي مصدر جوهري إلى جانب العقل والوجود، وهذا يؤدي إلى التحرر من المفاهيم الفلسفة اليونانية التي رسخت في الممارسة المعرفية الإسلامية؛ كالتحرر من المفهوم اليوناني للعقل الذي يعتبره؛ جوهر مستقل قائم بذاته، وهذا يعني كفاية العقل وعدم حاجته للوحي.

ثالثا: في إطار تفعيل نظرية المعرفة الإسلامية؛ يسترجع البحث مكانة القلب كمركز أساسي في النظام المعرفي الإسلامي، فهو البوتقة التي تنصهر فيه المعرفة، ومصير المعرفة، ومصير عمل الحواس يتحدد بحالة القلب، فإذا كان القلب منفتحا اشتغلت الطاقة الروحية للحواس والنعم، أما إذا كان مقفلا بقي عمل الحواس محصورا في الجملة العصبية.

---

[1]. للاستزادة والاطلاع على تفصيلات الخريطة السننية للمقاصد الكلية في القرآن الكريم، وحيثيات نظريته الجديدة في فلسفة التاريخ ينظر:- برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم**، مصدر سابق، ص73-150.

رابعا: إن ما تنماز به السنن الحضارية عن السنن الكونية هو؛ نتائج القياس في كليهما؛ فحاصل القياس في السنن الكونية عبارة عن نتائج صارمة تشبه النتائج الرياضية، بينما نتائج القياس في السنن الحضارية هي عبارة عن عواقب بعيدة الحصول وقد يطول أمدها، لما تختص به مقدماتها وسننها الجزئية من تشابك وتعقيد.

خامسا: إن العواقب التي هي النتائج البعيدة للسنن الحضارية ترتبط بحالة القلب؛ لأن مكنونات القلب هي التي تحدد موقف الأفراد، والمواقف الفردية تتجمع لتشكل الموقف الاجتماعي الذي يحدد مصير القومة الحضارية، وحركة سير التاريخ، لهذا يجب التزاوج بين المفهومين؛ فقه القلوب وفقه السنن الحضارية. والله أعلم.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين. **التحفة العراقية في إعمال القلوب**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ-2005م.
- ابن حنبل، أحمد. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء السابع عشر، حديث رقم: 11129.
- ابن منظور، مُحَمَّد. **لسان العرب**، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف، د ط، د ت.
- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد. **الإنسان بين شريعتين رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر**، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1423هـ/2003م.
- أحمد بن فارس، أبو الحسن. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1399هـ-1979م، ج1.
- برغوث، الطيب. **الأطروحة السننية الخلدونية ونظرية المدافعة والتجديد**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- برغوث، الطيب. **التجديد الحضاري والعمق الإنساني للإنسان**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- برغوث، الطيب. **التجديد الحضاري وقانون النموذج**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- برغوث، الطيب. **التغيير الحضاري وقانون الاستقلالية النوعية التكاملية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2019.
- برغوث، الطيب. **التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سنني كوني متوازن**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- برغوث، الطيب. **الفعالية الحضارية والثقافة السننية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2019.

- برغوث، الطيب. **بناء الأسرة المسلمة طريق النهضة الحضارية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- برغوث، الطيب. **مدخل إلى فقه مناهج الإصلاح في السيرة النبوية**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2019.
- برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى النظرية الكلية في فقه العُمران الحضاري في ضوء القرآن الكريم**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- برغوث، الطيب. **مدخل سنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- برغوث، الطيب. **نحو رؤية سننية أشمل لمفهوم الأصالة والتأصيل**، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2017.
- البكوش، الطيب. "بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي"، **مجلة المعجمية**، العددان: 5-6، تونس: 1990.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن. **شعب الإيمان**، تحقيق: أبي هاجر مُحَمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ-2000م، ج1.
- التويجري، مُحَمَّد إبراهيم. **موسوعة فقه القلوب**، الأردن: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، د ط، 2006.
- الجوزية، ابن القيم. **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق: مُحَمَّد عزيز شمس، مكة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، دط، د ت.
- الجوزية، ابن القيم. **الفوائد**، تحقيق: مُحَمَّد عزيز شمس، مكة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د ط، دت.
- خليل، عماد الدين. "فقه السنن"، **مجلة الفكر الإسلام المعاصر**، العدد:105، ربيع 1444هـ-2023م.
- زيدان، عبد الكريم. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، العدد:105، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ-1993م.
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. **الاعتصام**، ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1988م.
- عبد الرحمن، طه. **فقه الفلسفة القول الفلسفي كتاب المفهوم والتأثيل**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، ج2.

- عبد السلام، ياسين. **سنة الله**، الدار البيضاء (المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1426هـ-2005م.
- العدوي، مصطفى. **شفاء القلوب؛ التواضع، ذكر الله، الاستغفار، الرضا بالقضاء، خفض الجناح**، جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ/1997م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب. **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ-2005م.
- قاسمي، عمار. **"الرؤية التوحيدية في تفسير حركة التاريخ"**، (رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، 2016م).
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني. **الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1419هـ-1998م.
- متولي النحراوي، السيد صبحي. **تربية القلب في الفكر الإسلامي دراسة تحليلية نقدية**، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1440هـ-2019م.
- النقاري، حمو. **معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية**، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط1، 2016.

List of sources and references

- Abdeslam, Yassin. **Sunnah of God**, Casablanca (Morocco): New An-Najah Press, 1st Edition, 1426 AH-2005 AD.
- Abdul Rahman, Taha. **The Jurisprudence of Philosophy, the Philosophical Saying, Book of Concept and Etymology,** Casablanca: Arab Cultural Center, 1st Edition, 1999, Part 2.
- Abu Suleiman, Abdul Hamid Ahmed. **Man between two laws: a Qur'anic vision in self-knowledge and knowledge of the other**, Cairo: Dar Al-Salam for Printing, Publishing, Distribution and Translation, 1st Edition, 1423 AH / 2003 AD.
- Ahmad ibn Faris, Abu al-Hassan. **Dictionary of Language Standards**, edited by: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Beirut: Dar al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, d. I, 1399 AH-1979 AD, part 1 .
- Al-Adawi, Mustafa. **Healing hearts, humility, remembrance of God, seeking forgiveness, satisfaction with the judiciary**, lowering the wing, Jeddah: Dar Majid Asiri for Publishing and Distribution, 1st Edition, 1418 AH / 1997 AD.
- Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmad ibn al-Hassan. **The People of Faith**, investigated by: Abi Hajar Muhammad Al-Saeed bin Bassiouni

Zaghloul, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, 1421 AH-2000 AD, Part 1.

- Al-Fayrouzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Yaqoub. **The Surrounding Dictionary**, Investigation by the Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation, Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, 8th Edition, 1426 AH-2005 AD.
- Al-Jawziyya, Ibn al-Qayyim. **Benefits**, achieved by: Muhammad Aziz Shams, Mecca: Dar Alam Al-Mafa'id for Publishing and Distribution, dt, dt.
- Al-Jawziyya, Ibn al-Qayyim. **Relief of Al-Lahfan in the traps of Satan**, investigated by: Muhammad Aziz Shams, Makkah: Dar Alam Al-Mafa'id for Publishing and Distribution, dt, dt.
- Al-Kafwi, Abu Al-Baqa Ayyub bin Musa Al-Hasani. **Faculties: Dictionary of Terms and Linguistic Differences**, Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, 2nd Edition, 1419 AH-1998 AD.
- Al-Tuwaijri, Muhammad Ibrahim. **Encyclopedia of Jurisprudence of Hearts**, Jordan: International Ideas House for Publishing and Distribution, 2006.
- Bakoush, Tayyib. **"Some Methodological Problems of the Historical Arabic Dictionary"**, Lexical Magazine, Nos. 5-6, Tunisia: 1990.
- Berghouth, Tayab. **A Sunni Introduction to the Map of Total Purposes in the Holy Qur'an**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.
- Berghouth, Tayab. **A Sunni Introduction to the Overall Theory in the Jurisprudence of Civilizational Urbanism in the Light of the Noble Qur'an**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.
- Berghouth, Tayab. **Building the Muslim Family: The Way of the Civilizational Renaissance**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.
- Berghouth, Tayab. **Civilizational Change and the Law of Integral Qualitative Independence**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2019.
- Berghouth, Tayab. **Civilizational Effectiveness and Sunni Culture**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2019.
- Berghouth, Tayab. **Civilizational renewal and human depth of man**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.
- Berghouth, Tayab. **Civilizational Renewal and Model Law**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.

- Berghouth, Tayab. **Cognitive Integration and the Need for a Balanced Cosmic Sunni Perspective**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.
- Berghouth, Tayab. **Introduction to the jurisprudence of reform methods in the biography of the Prophet**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2019.
- Berghouth, Tayab. **The Sunni Khalduniya Thesis and the Theory of Advocacy and Renewal**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.
- Berghouth, Tayab. **Towards a more comprehensive Sunni vision of the concept of authenticity and rooting**, Algeria: Dar Al-Numan for Printing and Publishing, 1st Edition, 2017.
- Ibn Hanbal, Ahmad. **Musnad of Imam Ahmad bin Hanbal**, Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Part Seventeen, Hadith No: 11129.
- Ibn Manzur, Muhammad. **Lisan al-Arab, investigated by Abdullah al-Kabir and others**, Cairo: Dar al-Maaref, dt, dt.
- Ibn Taymiyyah, Abu al-Abbas Taqi al-Din. **The Iraqi masterpiece in the realization of hearts**, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, 1426 AH-2005 AD.
- Khalil, Imad al-Din. **"Fiqh Al-Sunan"**, Journal of Contemporary Islamic Thought, Issue: 105, Spring 1444 AH-2023 AD.
- Metwally Nahrawi, Mr. **Sobhi. Raising the Heart in Islamic Thought: A Critical Analytical Study**, Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing, Publishing and Distribution, 1st Edition, 1440 AH-2019 AD.
- Naqari, Hammo. **Dictionary of Methodological Theology Concepts**, Beirut: Arab Institute for Thought and Creativity, 1st Edition, 2016.
- Qasimi, Ammar. **"The Monotheistic Vision in the Interpretation of the Movement of History"**, (PhD thesis (manuscript), Prince Abdelkader University of Islamic Sciences, Constantine, Algeria, 2016).
- Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim ibn Musa. **Al-I'tisam**, Control and Correction: Ahmed Abdel Shafi, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, 1408 AH-1988 AD.
- Zaidan, Abdul Karim. **Divine Sunnahs in Nations, Groups and Individuals in Islamic Law**, Issue: 105, Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, 1st Edition, 1413 AH-1993 AD.